رسالة المسجد فى ظلال النهضة الجديدة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن وزير الأوقاف فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لم يقبل هذه الوزارة إلا وفى مخيلته رسالة إصلاحية يبغى تحقيقها ؛ وفى نفسه ثورة انقلابية يود إشعالها ، مستعينا على تحقيق رسالته وإشعال ثورته بنضارة شبابه وسداد رأيه وقوة عزمه ، ومستمدا التأييد من هذا العهد الجديد القائم على أسس ثابتة من الإصلاح

وأعتقد مرة أخرى أن وزير الأوقاف هذا ينال ثقة كبرى من شعب مصر على اختلاف أحزابه وهيآته . ولاسيما شباب الطليعة الذى يقدر ثقته، ويحسن الظن بها . وما أكثر مايئس الناس قبلا من إصلاح وزارة الأوقاف وفقدوا الأمل كله فى إنقاذها من أوحالها وأثقالها وأوزارها ! ولكن ما أكثر مايملأ الرجاء اليوم قلوبهم وما ينبعث الأمل فى نفوسهم ! واثقين كل الثقة من إصلاحها وإنقاذها على يد وزيرها الشاب الناهض الذى لايقر العجز ولايلين لليأس ولايؤمن بالتقهقر ، ولايرضى الفشل ثمرة لجهده الجبار الذى يهب له صحته وراحته

ونحن لايعنينا حل الوقف الأهلى، ولاتنظيم الوقف الخيرى، ولا وضع حد لفوضى الصدقات والخيرات . بقدر مايعنينا رسالة المسجد فى ظلال وثبة الجيش الجبارة ، والنهضة الجديدة المباركة ، وبرنامج الإصلاح الشامل المنشود ، لأن الوقف بنوعيه يهم فئة من الشعب ، ونظام الصدقات يجب ألا يكون من مقومات الأمة فى عهدها الجديد

أما المسجد فيخص الشعب بأسره ، وهو ضرورى له ، لأننا نبغى بعثه من جديد، وتكوينه التكوين السليم، حتى تؤهله للوقوف بجانب الشعوب الناهضة الحية التى أبت إلا حياة العزة والكرامة والمهابة فكان لها ماأرادت .

كان المسجد فى ظلال العهود الإسلامية الأولى معبدا تؤدى فيه الشعائر، ومعهدا تدرس بين جدرانه شتى العلوم ومختلف الفنون، وندوة يروج تحت سقفه ألوان من الأدب المعنى ، وبرلمانا شعبيا تلتقى تحت قبته الآراء الحرة ، وترسم خطط النهضة، وبرامج الإصلاح، وكانت خطبة الجمعة بيانا شاملا عن سياسة الدولة وشؤونها وخطواتها، وكان أن نكبت البلاد الإسلامية بعدئذ بعهود حائرة حكمتها حكما إقطاعيا فاجرا أصاب فجوره وفساده أسلوب الحكم ؛ كما أصاب الشعب والعلم والأدب والفن حتى المسجد لم ينج من شره لأنه لم يكن يملك غير الشر ، ولم تنله رحمته ، لأنه لم يكن يملك ذرة واحدة من الرحمة

إن ذلك الحكم الإقطاعى الذى حكم بلاد المسلمين فى القرنين الأخيرين وقف بالمرصاد للمسجد لأنه البوتقة التى تصهر فيها قوى الشعوب ، وتتكون من بخارها الصيحات الجريئة، والآراء الحرة ، فعولت على أن تجعل منه مجرد معبد تؤدى فيه شعائر الدين ليس إلا، وتجعل من خطبة الجمعة منشورا دوريا ، يزهد المسلمين فى الحياة الدنيا وزينتها ، ويحذرهم مغبة التكالب على الثروة والجاه والسلطان ، ويذكرهم بسكرة الموت وظلمة القبر ، وهول الموقف ، ويروج بينهم للصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خشية الفتنة ، والغفلة عن ظلم الولاة وطغيان الحاكمين وجبروت السلطان حتى لا يموتوا ميتة جاهلية ... !

واليوم وقد وثبت مصر هذه الوثبة المباركة ، وبدأت تتحرك فوق أرض الكنانة قافلة الإصلاح فى غير توان أو تلكؤ ؛ يجب أن يعود للمسجد شأنه فتعود مكانته إلى قلوب الناس من جديد ، والمسجد الجديد يجب أن يشمل الإصلاح مكانه وإمامه ، فمتى وجد المسجد المنظم النظيف وجد الشعب نفسه منجذبا إليه يؤم الصلاة تحت سقفه على الصلاة فى بيوته ، ومتى وجد الخطيب الحر اللبق القوى؛ وجد شباب الطليعة المثقف نفسه منجذبا إلى المسجد ليفيد من المعانى الإسلامية الحية التى تزيده ثقافة دينية فوق ثقافته العصرية